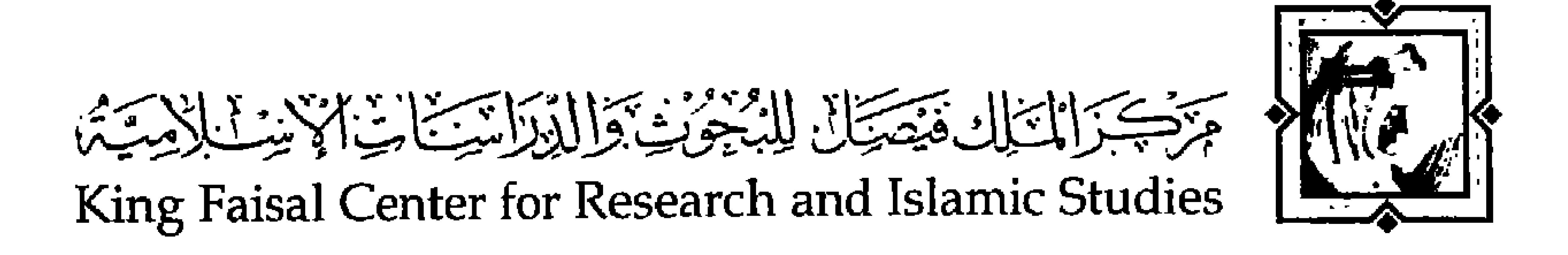



King Faisal Center for Research and Islamic Studies

حوار الحضارات
(رؤية إسلامية)

الدكتور/ أحمد العسال

سلسلة المحاضرات العامة (٥)



حوار الحضارات

(رؤية إسلامية)

الدكتور/ أحمد العسال

* ألقيت هذه المحاضرة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في ١٤١٥/١١/٣هـ.

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
العسال، أحمد محمد
حوار الحضارات: رؤية إسلامية ـ الرياض.
٣٢ ص؛ ١٦×٢٣ سم (المحاضرات العامة؛ ٥)
ردمك: ٣-٠٢-٨٩٠-٩٩٦٠
١ ـ الحضارة ـ تاريخ ٢ـ الحضارة الإسلامية
أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ٩٠١,٩ ٢٣/٣٩٨٣

رقم الإيداع: ٣٩٨٣/ ٢٣
ردمك: ٣-٠٢-٨٩٠-٩٩٦٠

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا ومولانا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإنه لمن الحسن في بداية تناولنا لهذا الموضوع الهام في هذه المرحلة التاريخية من حياة الأمة، أن نحدد بدقة المقصود بقولنا : « حوار الحضارات »، لننطلق منه إلى فهم أبعاد الموضوع وعناصره .

جاء في لسان العرب في توضيح كلمة حوار : « والاسم من المحاورة : الحوير . تقول : سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة : المجاوبة، والتحاور التجاوب . وتقول : كلّمته فما أحار جواباً، وما رجع إليّ حواراً، أي ما رد جواباً، واستحاره استنطقه، وفي حديث علي رضي الله عنه : يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثتما به، أي بجواب ذلك »(١) .

وفي التنزيل العزيز في قصة الجنتين: ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ قال ابن كثير : أي يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويترأس ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ [الكهف : ٣٤]، أي أكثر خدماً وحشماً وولداً .

ومن الألفاظ التي استُعملت في معنى الحوار أيضاً كلمة « الجدال »، قال الله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل : ١٢٥] ، والجدل كما جاء في اللسان : مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة، وقد نهينا عن الجدل في الباطل، أما طلب المغالبة لإظهار الحق فإنه محمود لقوله عز وجل : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ ، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وقد سميت سورة في القرآن باسم المجادلة نسبة إلى المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ في شأن حلف زوجها بالظهار منها، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١] وفي القرآن الكريم كلمات أخرى تدعو إلى الحوار من مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦٤] وقوله جل شأنه: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ [البقرة: ١١١].

أما كلمة الحضارة فمعناها: الإقامة في الحضر، قال الشاعر:

ومن تكن الحضارة أعجبته   فأي رجال بادية ترانا

فالحضارة ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي(٢).

وكلمة حضارة في اللغات الغربية (Culture) مأخوذة عن اللاتينية من فعل (Colere) بمعنى حرث ونمى، وقد كانت في الأصل مقصورة على تنمية الأرض ومحصولاتها، وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تنتقل بمدلولاتها إلى الجانبين العقلي والمادي، ثم غدت في القرن الثامن عشر تدل على تنمية العقل والذوق واتسعت لتشمل المكاسب العقلية والأدبية والذوقية لتقابل عندنا لفظ الثقافة، ثم بدأ علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يعنون بدراسة المجتمعات بدءاً من القرن التاسع عشر إلى أن أصبحت الكلمة تعني مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات(٣).

ولاشك في أن هذا التطور للكلمة وما أخذته من مراحل في الفكر الغربي يدلنا على سبق العلامة ابن خلدون في تعريفه للعلم الذي يبحث طبيعة العمران والذي يعتبره حقيقة التاريخ، وأن هذا العمران: هو نمط الحياة بوجه عام وبمعنى وصفي

غير تقييمي، فيشمل أحوال المجتمعات البدائية والمتحضرة على السواء، ولا يقتصر على الثانية منها فحسب. وانطلاقاً من هذا المعنى يحدد ابن خلدون بحثه في مقدمته في ستة فصول: الأول في العمران البشري عموماً وأصنافه وقسط من الأرض، والثاني في العمران وذكر القبائل والأمم الوحشية، والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية، والرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار، والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه، والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها(٤).

وهذا إن دل على شيءٍ فإنه يدل على شمولية النظرة الإسلامية إلى مناشط الحياة المختلفة، وهذا نابع من ذلك الدين القيم دين الإسلام، على ما سنعرض له بعد قليل عند الكلام على حضارة الإسلام بين الحضارات الأخرى.

الحضارات البشرية: واحدة أم متعددة؟

ويجدر بنا ـ قبل أن نخوض في تفصيلات موضوعنا هذا ـ أن نجيب على سؤال مهم، ألا وهو: هل الحضارات البشرية واحدة أم متعددة؟

ويمكن أن نقرر أن الحضارات البشرية التي زخر بها تاريخ الإنسان كالحضارة المصرية والبابلية واليونانية والعربية والمكسيكية والصينية وتركت آثارها في الفكر والفنون والآداب والمتاحف والآثار وغير ذلك ليست واحدة في ذاتها؛ وذلك لتميز كل منها في اتجاهاتها وإنجازاتها واختلافها في الزمان والمكان، ولهذا رجح مؤرخو الحضارات وعلى رأسهم أوزوالد شبينجلر أن كلاً منها مستقل عن الآخر، فيقول: إن الرأي القائل بحضارة إنسانية واحدة تسير في خط مستقيم ينقسم إلى عهود قديمة ومتوسطة وحديثة، رأي صادر عن العقلية الأوروبية الغربية المحدودة ضمن أفقها المحدود، والمعجبة بإنجازاتها والتي تحصر الحضارة في ذاتها وتنصرف عن الحضارات الأخرى، وتنظر إلى تطورها وكأنه تطور الإنسانية بكاملها، وإلى

عهودها الحديثة وكأنها أواخر مراحل التقدم أو خاتمتها.

فهو لا يقر بمركز خاص للحضارة الأوروبية الغربية أو لأية حضارة أخرى، فكل حضارة مستقلة عن سواها، ولكل منها حياتها الخاصة وفلكها الذي تدور فيه، ومميزاتها الذاتية المستمرة من جوهر كيانها(٥) وتبعه في تقرير ذلك الرأي العديد من مؤرخي الحضارات المشهورين وعلى رأسهم أرنولد تويمبي(٦).

ثم يقول شبينجلر: ومن هنا كانت خصائص كل حضارة وانفصالها وتفردها عن سواها، فليس ثمة نظام سياسي واحد، ولا اقتصاد واحد أو اجتماع واحد، ولا عقائد أو سنن أو أخلاق إنسانية واحدة، ولا فنون أو آداب واحدة، حتى العلوم تكون تابعة للحضارات ومختلفة باختلافاتها، فلا يمكن أن نقول بنظام عددي واحد، أو علم رياضي واحد، وإنما نجد نظاماً عددياً، وعلماً رياضياً مطابقاً لكل من الحضارات ومنبثقاً ككل نتاج من نتاجاتها عن رمزها الأولي الأصيل، كل شيءٍ نسبي والحقيقة كذلك نسبية.

والحضارة كائن عضوي، وككل كائن عضوي لها أدوارها المتتابعة، إنها كالإنسان تولد فتمر بأدوار الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة... إنها تدور في أربعة فصول: لها ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، وصيفها الذي تتضح فيه، وخريفها الذي يسوده التحليل العقلي، وشتاؤها الذي تكون فيه قد استنفدت جميع إمكاناتها الداخلية فتنصرف إلى الاهتمامات المالية وإلى الفتوح الخارجية، ويكون هذا مقدمة لانحلالها وانهيارها(٧).

هذا هو الخط البياني المعبر عن نشأة الحضارات ونموها وبلوغها مرحلة النضج ثم الكهولة ثم الانهيار، فماذا عن الإسلام بوصفه حركة حضارية عظيمة؟

الإسلام والحضارات:

لقد جاء الإسلام خاتماً لرسالات الله جميعاً، مبيناً استخلاف الله -عز وجل- لبني آدم في الأرض ليعبدوه وليقوموا بتعميرها، وصحح كل الرؤى الخاطئة التي سبقته، فأعطى البشرية رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان، وبيّن أن البشرية مضت في خطين وفي طريقين: أحدهما طريق النبوات والرسالات، والآخر طريق الوثنيات والحضارات التي بعدت عن نور الوحي وهداية الله، وتنكبت طريق الفطرة السليمة، وتخبطت في الظلمات، وحاق بها عقاب الله في الدنيا وتنتظر سوء المصير في الآخرة، وقد عرض القرآن الكريم لهذا النوع ببيان أخّاذ وعرض مؤثر، وسنعود إليه بعد ذلك.

ولكننا نريد الآن أن نبين ما قدمه الإسلام للبشرية، فقد أرسل الله أنبياءه ورسله لتنفيذ حكمته ومشيئته في خلقه، ولتقوم الحجة وينقطع العذر، وأخبر عن ذلك بقوله -تعالى-: ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٧] مبشري المؤمنين الصالحين بالحياة الطيبة في الدارين، ومنذري الكافرين المكذبين بسوء العاقبة واستحقاق العذاب ودخول جهنم وبئس المصير، وصدق الله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥].

وجاءت الرسالات كلها متفقة في أصل المبدأ والمعاد والغاية من الخلق والعمل الصالح والخلق الحسن والأدب الفاضل والثواب والعقاب: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله سبحانه عند ذكر قصص الأنبياء في سورة

الأنبياء ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وكان الفرق بين كل رسالة وأخرى الشرائع المنظمة للمجتمعات، فكانت كل شريعة تناسب ظروف وطبيعة القوم الذين أرسل فيهم الرسول، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وببعث محمد ﷺ ونزول القرآن ختمت النبوات وكملت الرسالات، وأصبحت البشرية مهيأة للخطاب العالمي والرسالة النهائية، وصدق الله إذ يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي الحديث الشريف: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً إلا موضع لبنة فيه، فكان الناس يمرون بالبيت ويقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين»(٨) وقوله في مسند الإمام أحمد: «أخبرنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت يا رسول الله: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٩).

صياغة الإسلام للبشرية:

وفي ضوء ما سبق أعاد الإسلام صياغة العقل البشري بما يجعله قادراً على الفعل الحضاري من خلال نقلات أساسية ثلاث: نقلة تصورية اعتقادية، ونقلة معرفية، وثالثة منهجية.

أما النقلة الاعتقادية: فهي من تعدد المعبودات إلى توحيد الله وحده، ومن

عبادة العباد إلى عبادة رب العباد عز وجل، ومن عشق الحجارة والأصنام إلى محبة الحق وكسر الحاجز المادي وجعله ينظر ويتطلع إلى عالم الغيب. وقد تحدث القرآن عن هذه النقلة أنها خروج بالناس من الظلمات إلى النور، ثم جرده من الأغلال والقيود وأوزار الجاهلية وضلالاتها وعاداتها، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فقام هذا التصور على النظر الصحيح والطريق المستقيم، وانضبطت حركة الإنسان بالتوحيد والعدل والقيم الخالدة التصورية المنبثقة عن ذلك: الربانية، الشمولية، التوازن والثبات، الحركة الإيجابية والواقعية... وهذا النسق المحكم يمثل تطابقاً باهراً مع معطيات الفطرة البشرية(١٠).

وأما النقلة المعرفية: فهي عمل في صميم العقل من أجل إعادة تشكيله بالصيغة التي تمكنه من التعامل مع الكون والوجود، فليس عبثاً أن تكون كلمة ﴿اقرأ﴾ هي الكلمة الأولى من كتاب الله وتتكرر مرتين في آيات ثلاث، وليس عبثاً أن ترد كلم ﴿علم﴾ ثلاث مرات، وأن يشار بالحرف إلى ﴿القلم﴾ الأداة التي يتعلم بها الإنسان.

وعبر المدى الزمني لتنزل القرآن ينهمر السيل، ويتعالى النداء المرة تلو المرة: اقرأ.. تفكر.. اعقل.. تدبر.. انظر.. تبصر.. إلخ، وهذا جعل العقل يتشوق إلى المعرفة، ودفعه إلى البحث والتساؤل والجدل(١١).

أما النقلة المنهجية فتشمل ثلاثة أمور:

أ- السببية: وهي رؤية تركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود تربط - وهي

تتأمل وتبحث وتعاين وتتفكر ـ بين الأسباب والمسببات، فهذا الكون الذي تراه والذي سخره الله عز وجل لبني البشر هو تعبير عن إبداع الخالق تشده قوانين واحدة وأسباب واحدة وتصدر عن إرادة واحدة. ولن يتحقق فهمه أبداً ما لم ينظر إليه إلا من خلال رؤية عقائدية تعرف كيف تجمع وتلم وتقارن وتختزل وترتب وصولاً إلى الحقائق التي يبتغيها.

إن الكشف عن السببية والأخذ بشروطها المنهجية كسب كبير للعقل البشري، وإضافة قيمة تمكنه من إعادة التشكيل في صيغ أكثر قدرة على العطاء والإبداع فوق ما تمنحه من اليقين بقدرة الله عز وجل وعظمته(١٢).

ب ـ القانونية التاريخية: إن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى على غير هدف، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء، فالقانون يحكم التاريخ ويشتمل على الظواهر الاجتماعية، ولا يكتسب التاريخ أهميته الإيجابية إلا بأن يُتخذ ميداناً للدراسة والاختبار تُستخلص منه القيم والقوانين التي لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل إلا على هداها كما فعل ابن خلدون في مقدمته عن العمران البشري(١٣)، ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

جـ ـ منهج البحث الحسي التجريبي: يمكن القول بأن الكشف عن السببية والقانونية التاريخية لا يعدلان الكسب المعرفي القيم الذي أحرزه المسلم خصوصاً، والعقل البشري عموماً، والذي تمثل في منهج البحث الحسي التجريبي الذي كشف النقاب عنه ونظمه وأكده ودعا إليه كتاب الله.

لقد دعا القرآن الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق «النظر الحسي» إلى ما حولهم ابتداء من وقع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس

والكون، وأعطى الحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب، وناداه أن يمعن النظر إلى ما حوله.. إلى خلقه.. إلى طعامه وشرابه.. إلى الكون من حوله.. إلى التاريخ وحركة الإنسان على الأرض.. إلى خلائق الله وآياته المنبثة في كل مكان.. إلى النواميس الاجتماعية.. إلى الطبيعة والعالم.. ودعاه أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يعرف ويميز.

وانتقل القرآن الكريم خطوة أخرى فدعا الناس إلى تحريك «بصائرهم» لتتحمل مسؤوليتها في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها وفرزها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخليقة.

وأكد القرآن على الأسلوب الذي يعتمد البرهان والحجة والجدال الحسن للوصول إلى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء والموازنة والتمحيص، ولا يسعنا استعراض جل ما ورد من آيات في هذا المجال أو حتى الإشارة إليه، ويكفي أن نشير إلى أن كلمة «علم» بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من الآيات جاوز الـ ٧٥٠ آية.

وهكذا فإن النقلة أو التحول الحضاري الكبير الذي نفذه المسلمون وتحققوا به عبر القرون إنما جاء ثمرة العقلية التي صاغها الإسلام ودفعها للنقلة الخطيرة من أن تلعب دورها الشامل في تكوين وإغناء الحضارة الإسلامية، ولم تكن هذه النقلة الحضارية بحال أقل خطورة من النقلات الثلاث التي مهدت لها وشقت أمامها الطريق.

نظرة القرآن الكريم للحضارات:

قلنا إن من النقلات البعيدة التي أثرت في العقل الإسلامي ووضعته على سنن الحق وناموس الهدى؛ القانونية التاريخية التي بينت أن تاريخ البشرية ملحمة

متصلة تضبط سيرها سنن ونواميس لا تتخلف ولا تتبدل، تنتفي عنها العبثية، ولا مجال فيها للصدفة، فالخق كله ـ كونه وبشره ـ محكوم منضبط لا لهو فيه ولا عبث يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٧ – ٢٩].

ولذا كان من إعجاز القرآن الكريم إخباره عن أنباء الأمم الغابرة والحضارات البائدة إخبار الحاضر المشاهد المعاين، يقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، ويقول سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه: ٩٩]، ويقول عز من قائل: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠].

والهدف العظيم من هذا القصص هو: مثول العبرة أمام أصحاب العقول الحية، قال الخليل: العبرة والاعتبار بما مضى: أي الاتعاظ والتذكر... وتكون العبرة والاعتبار بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم(١٤) وصدق الله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

والاعتبار الذي بيّنه القرآن ووضحه أن الله عز وجل ابتلى الإنسان بالاستخلاف في هذه الأرض ليعمرها بإصلاح العمل وإحسانه، يقول الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي

بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢]، ويقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

ومن ثم فإن كلاً من العمل الصالح والعمل السيء له نتائجه وثمراته إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن هنا فإن الذنوب والسيئات ليست محايدة، فهي تعمل في الحضارات والمجتمعات عمل الأمراض في الأجسام من الجهد والسقم والضعف والإفناء، بل هي أخطر فتكاً وأشد أثراً لأنها تقتل في الإنسان أشرف ما فيه، وهي المعنويات والفضائل والمكرمات التي فضل الله بها الإنسان وميزه عن الحيوان الأعجم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

والقرآن الكريم يعرض سير الأنبياء والمرسلين وكونهم حملة رسالة الحق إلى أقوامهم وأممهم، يبينون لهم سنن الحق والهدى، ويأخذون بيدهم إلى أخلاق الفطرة السوية، ويعملون بينهم بالشريعة المستقيمة، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فأي أمة أو حضارة أعرضت عن سنن الحق في النفس والحياة والعلاقات والأشياء، وأعرضت عن هدي الله فكفرت بأنعمه وأشركت به سبحانه واستعلى أولو الأمر فيها فتكبروا وتجبروا واتبعوا أهواءهم فتنكبوا الأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة، فظلموا أنفسهم، وتجبروا على قومهم، وشاعت فيهم منكرات الأخلاق والأفعال.. إذا فعلوا ذلك نزل بهم عقاب الله لا محالة. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦](١٥)، ويقول: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨](١٦).

والقرآن الكريم لا يبخس الحضارات حقها فيما أنجزت من عمران وتشييد وبناء، ولكنه يبين أن الجانب القيمي والأخلاقي هو الذي يحفظ إنسان الحضارات ويجعل عنده المناعة والرشد الذي يقيه التدهور والفساد. ويعرض القرآن الكريم عرضاً باهراً أخاذاً ومؤثراً كيف أن الذي دمر حضارة الإنسان على مر العصور والدهور هو الفساد في المعتقد والأخلاق والقيم والشرائع التي تحكم المجتمعات، وأن الفساد إذا دب في ناحية من نواحي أي مجتمع سرى في الجوانب الأخرى، فحياة المجتمعات والأفراد وحدة لا تتجزأ إذا أصاب العطب جزءاً مضى إلى الأجزاء الأخرى، فكما قيل: الفساد ليس محايداً ولا عقيماً.

ولهذا عرض القرآن العظيم قصة قوم لوط وكفرهم وفسادهم الخلقي، وقصة قوم عاد وكفرهم واغترارهم بقوتهم، وقصة قوم شعيب وكفرهم وتطفيفهم الكيل، وقصة سبأ وكفرهم وجحودهم وإعراضهم، وقصة فرعون وتألهه واستبداده وظلمه.. والقرآن له فنه الفريد في العرض وطريقته المتميزة، فلا يسرد القصة سرداً وإنما يوردها هنا وهناك بأسلوبه المتفرد حسب سياق العبرة، وجرسه المؤثر، وتصريفه القول. وإليك نموذجاً مما عرضه القرآن في ثلاث قصص: سبأ وعاد وفرعون.

• قصة سبأ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ١٥ – ٢١].

• قصة عاد:

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٣ – ١٣٩].

• قصة فرعون:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ

بربي وربكم أن ترجمون ﴿٢٠﴾ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴿٢١﴾ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴿٢٢﴾ فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون ﴿٢٣﴾ واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ﴿٢٤﴾ كم تركوا من جنات وعيون ﴿٢٥﴾ وزروع ومقام كريم ﴿٢٦﴾ ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴿٢٧﴾ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴿٢٨﴾ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴿٢٩﴾ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ﴿٣٠﴾ من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ﴿٣١﴾ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴿٣٢﴾ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: ١٧ - ٣٣].

الحضارات في ميزان الإسلام:

وعلى ذلك فالميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات هو مدى قربها أو بعدها من عقيدة التوحيد، ومن قوانين الحق والفطرة، والتزامها بقيم العدل والقسط وحضها على محاسن الأخلاق وجميل العادات والآداب، وبُعدها عن جرائم الظلم والتسلط والكبر. والإسلام يرى أن الأسرة البشرية لحمة واحدة وآصرة مشتركة، وأن التعدد والتنوع بين الأمم والقبائل إنما غايته التعارف والتعاون لا التنابذ والتخاصم، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ويأمر بالتعاون والتآزر: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تضع البشرية كلها في إطار التفاهم والدعوة إلى المثل العليا والقيم الكريمة التي تجمع بين بني الإنسان على كلمة سواء ويخص أهل الكتاب بالرعاية والعناية لما عندهم من بقية خير وأثر من الكتب التي

تنزلت فيهم على ما سنبينه فيما بعد .

ولهذا فإننا سنرى إلى أي حد يمكننا أن نحاور الحضارات التي نعايشها كمسلمين؟ وما هي مجالات هذا الحوار؟ وكيف نهيئ الجو الصالح لهذا الحوار؟

لكننا قبل أن نجيب على هذه الأسئلة الهامة لابد أن نتعرف عن قرب على الحضارة السائدة في زماننا والقائدة لزمام عالمنا ألا وهي حضارة الغرب.

حضارة الغرب (الروافد والمؤثرات):

يجمع المؤرخون والمفكرون أن الحضارة الغربية وخاصة الأوروبي منها وليدة روافد ثلاثة:

في المجال الأخلاقي: المسيحية وخاصة الكاثوليكية .

في مضمار الحقوق والسياسة والدولة: تأثير موصول للقانون الروماني .

في حقل الفكر والفنون: التقليد الإغريقي(١٧) .

ولكن الحضارة في حركتها وتدفقها تشبه كثيراً تيار الماء المتدفق في مجرى نهر مندفع يجمع روافد من هنا وهناك، فلا عجب إذا وجدنا الحضارة الغربية وقد أخذت من المنابع الثلاثة الماضية كإرث ثقافي موصول بالإغريق والرومان، والكنيسة تأثرت وتعلمت من الحضارة الإسلامية عن طريقين هامين:

الأول: الاحتكاك المباشر في جولات الصراع الروماني البيزنطي، والحروب الصليبية بالمسلمين.

والثاني: عن طريق الجامعات والمعاهد العلمية في جنوب إيطاليا وقرطبة ودمشق وبغداد .

وقد استطاع العلماء المسلمون بمنهجهم المتوازن الذي حفظ العقل عن الاستمرار في البحث فيما وراء الطبيعة وفيما لا طائل منه؛ إذ إنه من الغيب الذي

اختص الله به، وأن طريقه إخبار الصادق المصدوق ﷺ، وأن دور العقل فيما يدخل في دائرة قدرته وإمكانياته، وأن الحواس هي وسائله التي تعينه وتمكنه أن يعرف القوانين في نفسه وفيما حوله من الكائنات.. هذا المنهج هو الذي مكن المسلمين من عمل النقلة الهائلة في مجال العلوم التجريبية وجعلهم ينقلون الطب والصيدلة والكيمياء والعلوم الأخرى النقلة الهائلة التي أعطت أوروبا مفاتيح العلم التجريبي، وظلت العربية لغة الطب في فرنسا حتى القرن السادس عشر، وفي إنجلترا حتى القرن التاسع عشر. وتأثير الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الأخرى الآن مقرر ومسجل في كثير من المصادر، وإنما أردنا فقط تسجيل التأثير في هذا المضمار.

وقد حدث تأثير آخر في مجال الفكر الديني ألا وهو حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر في ألمانيا وكليفن في إيطاليا والتي حاولت أن تحرر الكنيسة من صكوك الغفران ومن قضايا الاعتراف التي نشأ عنها المذهب البروتستانتي، ولكن الأزمة الهائلة والانفصام النكد بين رجال العلم وآباء الكنيسة من جراء سيطرة الفكر الإغريقي على عقلية آباء الكنيسة في نظرتهم للكون والحياة، وأن الأرض هي مركز الكون، إلى غير ذلك من الآراء؛ أدى إلى إقامة محاكم التفتيش التي تحكم على العلماء بالحرق والسجن وغير ذلك، فكان أن حدث رد الفعل الذي قامت على إثره الثورة الفرنسية التي كان شعارها: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء أخر قسيس»، والتي عزلت الدين عن الحياة وحبسته داخل الكنيسة.

وانطلقت حضارة الغرب تبحث عن نظريات تؤسس عليها نظرتها للحياة والإنسان والكون.. فتوجهت أولاً إلى الإيمان بالعقل الإنساني الواحد بدل الإيمان بالله الواحد، وقد وضح ذلك فيما وضعه أوجست كومت (Auguste Comte) في كتابه الشهير في الفلسفة الوضعية، وكذلك ما وضعه هيجل في نظريته في

تعليل التاريخ وأن المبدأ الأساسي الذي يحرك الوجود هو الروح أو العقل (Geist) المطلق الكيان، ثم نظرية دارون في نشوء الأحياء وارتقائها[١٨].

ثم جاء علماء الاجتماع كهربرت سبينسر وأمثاله فنقلوها من عالم الحياة العضوية إلى عالم الحياة الإنسانية، ثم جاء جان جاك روسو فوضع نظريته في العقد الاجتماعي التي كانت أساس نظرية القوميات فيما بعد، ثم جاء ماركس ووضع نظريته الجدلية على أساس أن المحرك لحياة الإنسان هو العامل الاقتصادي، وفرويد من أن المحرك هو الغريزة الجنسية.

وهكذا اجتمع للحضارة الغربية كل النظريات التي تربط نشاط الإنسان بالجانب المادي في الحياة وتفرغه من الجانب الروحي، ثم جاء البراجماتيون فكرسوا مذهب المنفعة وقالوا: إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية في أنه لا يمكن استنباطه كله مرة واحدة من مبادئ ذهنية، بل لابد أن يخضع للزمن وأن يكون مستعداً لأن يغير نتائجه من آن لآخر والآراء الذائعة حق، وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام.

إنجازات الحضارة الغربية:

ومع هذا الانفصام النكد الذي حدث بين الحضارة الغربية والدين، وهذا الخط المنحرف الذي جعلها تبتعد كثيراً عن هدي الفطرة السليمة والقيم الصالحة، إلا أنها أنجزت إنجازات رائعة في ميداني العلوم والمخترعات، وميدان الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد انتقلت بالبشرية من عصر البخار إلى عصر الكهرباء والصناعة والتقنية المتقدمة، ثم عصر الاتصالات والفضاء، وأخيراً عصر الإلكترونات وثورة المعلومات.

أما في ميدان الحياة الاجتماعية فقد قدمت المذهب الليبرالي الذي أرسى دعائم فصل السلطات الثلاثة: القضائية والتشريعية والتنفيذية وأعطى الأمة حقها في

السيادة وانتخاب ممثليها، وبذلك خلصت المجتمعات الغربية من ربقة الإقطاع واستبداد الأمراء والحكام وهيمنة أباء الكنيسة، فغدت هذه المجتمعات حرة تمارس حياتها بكل إبداع وإيجابية.

ومن هنا خطت هذه المجتمعات خطوات هائلة في طريق التقدم والحضارة وانطلقت تبني وتتعلم وتستثمر فوصلت إلى ما وصلت إليه الآن مما نراه ونشاهده ونشعر به من الفجوة الهائلة بين مجتمعات الغرب والمجتمعات الأخرى، وهذا ما يفسر التأثير الهائل، والتقليد المشاهد، والافتتان الكبير بمنجزات هذه الحضارة ومحاولة اللحاق بها، فكما قيل: المغلوب مولع بتقليد الغالب، وكما قيل أيضاً: إن قيادة قطار التقدم منوطة بمن يملك زمام العلم والابتكار، ولا يسع المتخلف أو قليل البضاعة إلا أن يركب هذا القطار شاء أم أبى!!

الحضارة الغربية ودورها في استعمار الشعوب:

ولكن من سوء طالع هذه الحضارة أن ارتبطت نهضتها وتقدمها بأسلوبها الوحشي التدميري للشعوب الضعيفة واستباحتها لخيرات هذه الشعوب بأساليب تنم عن الخبث والدهاء والمكر والبعد عن القيم الفاضلة، وما أمثلة أعمال شركتي الهند الشرقية في الهند، والشركة الهولندية في أندونيسيا، وحركة صيد الزنوج في إفريقيا وشحنهم إلى أمريكا لاستغلالهم واستعبادهم، وإفناء الهنود الحمر في أمريكا، وكذا السكان الأصليين في استراليا، وحرب الأفيون في الصين، واستنزاف مناجم الذهب في جنوب إفريقيا وغينيا، إلا أمثلة يسيرة على ذلك(١٩).

وقد كان حظ العالم الإسلامي وفيراً من هذا الذل الاستعماري، فقد سقط كله إلا القليل النادر تحت رحى الاستعمار الغربي خلال القرون الثلاثة الأخيرة، ولم تأت الحرب العالمية الأولى إلا وكان شرق العالم الإسلامي وغربه تحت السيطرة الاستعمارية تمهيداً لإلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م(٢٠). وقد سبق للشعوب الإسلامية

في آسيا الوسطى والقوقاز أن طحنتها رحى القيصر الروسي وورثتها بعد ذلك الماركسية.

وقد تسببت هذه الروح الاستعمارية في إذكاء جذوة التنافس وولدت المذاهب النازية والفاشية والماركسية التي اصطلى العالم بسببها بحربين عالميتين ذهب ضحيتهما ما يتراوح بين ١٦٧ - ١٧٥ مليون شخص أزهقت أرواحهم وبصورة متعمدة باسم الايديولوجية وباسم السياسة - على حد تعبير بريجنسكي - وهذا العدد المساوي عدد سكان ثلاث دول أوروبية مجتمعة هي فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، أو ما يزيد عن ثلثي سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وهو رقم أكبر من إجمالي كل الحروب الأهلية والاضطهادات الدينية عبر التاريخ الإنساني كله(٢١).

ومن هنا كان تعامل الحضارة الغربية بإرثها التاريخي، وإرثها الفكري، ونظرتها الاستعمارية نظرة الاستعلاء والكبر إلى الشعوب الأخرى؛ نظرة لا تقوم على الندية ولا الأخذ والعطاء إنما هي قائمة على الأحادية، وأنها الحضارة التي انتهت إليها الحضارات. وزاد من تركيز هذا الموقف انهيار النظام الاشتراكي، فانفردت الحضارة الغربية بقيادة العالم، وظهرت الكتابات التي تبرر هذه الانفراد من مثل كتابة فرانسيس فوكوياما وكلامه عن نهاية التاريخ وأن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بخصوص الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم بعد أن ألحقت الهزيمة بالايديولوجيات المنافسة. ويرى فوكوياما أن كلاً من هيجل وماركس كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع حاجة البشر الأساسية والرئيسة، فهو عند هيجل الليبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي.

ومن مثل كتابة هينتجتن في بحثه عن صدام الحضارات، وفيه يرى أن الصراع

القادم سيكون صراعاً بين الحضارات ستصفي فيه الحضارة الغربية الحضارات التي لازال عندها إحساس بهويتها وذاتيتها، وأن أهم عامل في حضارات اليوم هو الدين. ويضرب الأمثلة على بدء الصراع الدامي في العالم بأن المحرك لها هو الدين، ولهذا يرى العقلاء من الغرب من أمثال روجيه جارودي: أن هيمنة الغرب هي أخطر حدث في تاريخ الكون لم ينتج عنه سوى الخوف من الموت، وخشية الإنسان أخاه، والذعر من المستقبل، يقول جارودي: منذ القرن السادس عشر إلى نهاية القرن العشرين تحكمت في حضارتنا الغربية فرضيات ثلاث:

١- أسبقية الفعل والعمل.

٢- أسبقية العقل.

٣- أسبقية اللامتناهي الردئ واللامتناهي الكمي.

ثم يقول: إن هذه الحضارة مجهزة بدواعي الانتحار، وذلك لانعدام الغاية كما يشهد بذلك اللجوء إلى المخدرات، وانتحار المراهقين التي هي أكثر حدوثاً في البلاد الأوفر ثراء، وازدياد معدل الجريمة، وانتشار مرض الإيدز، وتلوث البيئة، ونفاد الموارد الطبيعية، وهي نتيجة لتصور لا يرى في الطبيعة إلا خزاناً ومزبلة.

إن مجتمعاتنا التي تدعي أنها متقدمة تشغل باسم فرضية اللامتناهي الكمي بمقتضى مبدأ السفسطائيين: « خلق الحاجات والشهوات ».

إن هذه النهضة لم تكن مجرد حركة ثقافية، بل كانت مولداً مزدوجاً للرأسمالية والاستعمار، والتي هي أبعد من أن تكون أوج النزعة الإنسانية. لقد أتلفت هذه الحضارة حضارات أعلى شأناً منها في علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع والأمور الإلهية(٢٢).

أزمة الحضارة الغربية:

من خلال العرض السريع للحضارة الغربية تبين لنا ما فيها من جوانب مشرقة وباهرة أسهمت ولاتزال في تقدم البشرية في نواح كثيرة علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

لكنها للأسف منيت بالمادية المتطرفة، التي حجبتها عن الدين الحق، وإن كانت هناك بقايا فليس لها الدور المؤثر، وتبع ذلك غلبة الأهواء الضالة في جوانب الغرائز في الجنس والكسب، واتجاه المجتمع الغربي إلى إباحة الاستباحة، وهو مصطلح ينطبق على أي مجتمع يباح فيه كل شيءٍ، ويمكن أن يمتلك أي شيءٍ، مجتمع انحدرت فيه المعايير الأخلاقية مع مضاعفة الانهماك في الإشباع الذاتي والمادي والحسي(٢٣).

وإذا كان هذا هو الجانب الداخلي في الأزمة، فإن جانب التعامل مع الآخر هي الأزمة الحقيقية التي تعاني منها البشرية، ألا وهي الروح الاستعمارية البغيضة التي تبيح للقوة المسيطرة للعالم السياسات الظالمة والجائرة والخطط الاقتصادية والاجتماعية التي تكرس السيطرة وتفرض الظلم والقهر على الآخرين وتلبسها ثوب الأممية والعالمية.

ولسنا في مجال التفصيل، ويكفي أن نشير إلى السياسة العالمية التي تكرس الاستعمار الاستيطاني الكريه في فلسطين كما كرسته من قبل في جنوب إفريقيا وروسيا لولا جهاد شعبيهما، ثم ننظر الآن في مأساة البوسنة والهرسك حتى أن جريدة النيويورك تايمز أعلنت - بمناسبة مرور ألف يوم على حصار سراييفو - موت المبادئ والقيم، وقد جاء فيه: «في ذكرى التزامنا بالمبادئ والقيم الخلقية التي ماتت في البوسنة والهرسك عام ١٩٩٤م لا ترسلوا باقات زهور!! وقوموا بتعزية المجلس الأوروبي الأمريكي العامل من أجل السلام في البلقان»(٢٤).

وإذا اقتربنا من السياسة الاقتصادية وجدنا السياسة الربوية الجائرة التي يمليها صندوق النقد الدولي وكذا مؤسسة التجارة العالمية. ولسنا في مجال التفصيل بل غرضنا إكمال الصورة. وينضم إلى ذلك السياسة الاجتماعية التي تسعى إلى فرض سياسة سكانية على العالم تغير نظام الأسرة وتفتح باب الانحلال والتهتك كما هو حادث في الغرب. وما مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤م عنا ببعيد، وقد تعاون الأزهر الشريف مع الكنيسة الكاثوليكية في التصدي لمخططه الآثم. ومع ذلك فالسياسات الرسمية والاجتماعية لاتزال تغزل الشباك للمجتمعات المقهورة والضعيفة بفعل آليات القروض المشروطة والمتدسسة على هذه الشعوب، ووجود التبعية الذليلة القابلة لهذه السياسات.

عالمنا اليوم:

تلكم باختصار شديد جوانب الأزمة الهائلة في الحضارة الغربية والمؤثرة تأثيراً بعيداً في مستقبل البشرية.. لكن الجانب الآخر من الصورة هو أن العالم اليوم اختلف عن عالم الأمس من حيث ثورة الاتصال الإلكترونية. لقد دخلت البشرية عصر الإعلام المتعدد الذي يزاوج بين ثلاثة أجهزة: التليفون ـ الكمبيوتر ـ التلفزيون، هذه التقنيات تم ربط بعضها ببعض.. إن شبكة Internet أكبر شبكة كمبيوتر، يتحادث فيها مشتركون من شتى الأقطار في اللحظة نفسها بطريقة آنية بتكلفة مكالمة تلفونية محلية.

إن شبكة الألياف الضوئية ستحل محل الكيبلات النحاسية لتنقل المعلومات بكل أشكالها بسرعة الضوء.. إن شعرة واحدة من تلك الألياف الضوئية قادرة على حمل مئات من القنوات التلفزيونية في اللحظة نفسها.. وسيتحول الاستقبال من الأساس التناظري إلى الأساس الرقمي، وهذه الشعرة المصنوعة من الزجاج اللين والتي يقدر سمكها بسمك شعرة الإنسان تستطيع أن تنقل ألف مرة من المعلومات

التي تستطيع كل ترددات الراديو نقلها مجتمعة.

ونتيجة لهذا فقد أحدثت صناعة تقنية المعلومات ثورة في العالم لدرجة أن الناتج العالمي لصناعة المعلومات سنوياً يقرب من ألف مليار دولار... وقفزت العمالة في صناعة المعلومات في أواخر القرن الماضي من ٨٪ فتجاوزت ٤٥٪ في عام ١٩٨٠م.

ما معنى هذا؟

سيتزاوج علما المعلومات والاتصالات، وسيصبح إمكان عمل بعض الأعمال دون التحرك، وستزداد أهمية البيت والأسرة والتعليم وسيكون هناك تعليم ذاتي.. وستصبح المعلومات باعتبارها مصدر القوة معياراً اجتماعياً ووسيلة ارتقاء وتقدم فضلاً عن كونها مورداً اقتصادياً هاماً.. ومن المؤكد ستحدث تغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية.. وهذا التحول في التقنية سيمكن من خطاب العقل والفكر بدون حوائل، وسيتيح للذين يملكون وسائل ويقدرون على معالجة مشكلات الإنسان، ويحسنون الدخول إلى فطرته.. الحوار والجدل.

الرؤية الإسلامية للحوار:

جاء الإسلام خطاباً للبشرية كلها وعودة للفطرة السليمة، فقام على خطاب النفس كلها عقلاً ووجداناً وحساً، واعتمد البرهان والتفكير والتدبر في آيات الله في الكون والنفس والحياة، وحرم القسر والإكراه وأوجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وتجاوز بنظرته الجنس واللون وخاطب الناس جميعاً بأنهم من أب واحد وأم واحدة واحترم تعدد شعوبهم وقبائلهم ولغاتهم واعتبرها من آيات الله، يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**

خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وحمل القرآن الكريم ألواناً جميلة من خطاب الأنبياء - عليهم السلام - الحاني الرفيق، والبراهين المتعددة الحاشدة لآيات الله - عز وجل - في كونه من مثل دعوة نوح - عليه السلام - ودعوة أبي الأنبياء إبراهيم وتأملاته وحجته حينما نظر إلى الكواكب نجومها ثم قمرها وشمسها إلى أن قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ثم الختام الرائع للأنبياء - عليهم السلام - برسولنا محمد ﷺ وإتمامه مكارم الأخلاق وأنه جاء رحمة للعالمين.. وإرساله الرسائل للملوك والأمراء والعظماء بالدعوة الحانية للدخول في دين الله وترك الوثنيات والتحريفات التي أضافتها الأهواء إلى دين الله الحق. وقد احترم الإسلام أهل الكتاب وأوصى بهم وطلب البر بهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

حاجة البشرية إلى الحوار:

بيّنا فيما سبق كيف أن ثورة المعلومات وعصى الآليات الإلكترونية والآليات الضوئية جعل العالم كله قرية واحدة، وقد أصبح البث الفضائي عن طريق الأقمار الصناعية حقيقة مشاهدة وأمراً نعايشه في كل وقت وآن مما يسر تبادل المعلومات وسهل لغة الحوار والتفاهم هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإن المستوى الذي وصلت إليه الإنسانية من التقارب في جوانب الجامعات والفنون والآداب والثقافات جدير بفتح نوافذ الفهم المشترك.. ناهيك عن النتائج المفزعة والثمرات المرة التي نزلت ببني الإنسان من الاندفاع المحموم تجاه حضارة الوفرة واستباحة الإباحية وما أوجدته من مشكلات متفاقمة ومتعاظمة في ارتفاع معدل الجريمة وانتشار المخدرات والخطر المتفاقم لطاعون العصر مرض الإيدز.

ثم ما وصلت إليه البشرية اليوم من حالة العجز والتردي وعدم القدرة على علاج

النزيف الدامي في كثير من مناطق العالم وخاصة الإسلامي في فلسطين والبوسنة وكشمير والصومال وجنوب السودان.. مما سبب قلقاً وحيرة وإحباطاً في نفسية المجتمع الإنساني كله بعامة والإسلامي على وجه الخصوص.. وأخيراً قضية حقوق الإنسان المنتهكة في كثير من المجتمعات التي لاتزال تئن من القيود الظالمة والجائرة التي لا تعطي الفرد حقه في التعبير الكريم ولا القضاء العادل ولا العيش الكريم وتعمل فيه بقانون البطش والاستعباد ولا تراعي فيه التكريم الذي خلقه الله من أجله... ولا الصيحة التي أطلقها الخليفة العادل عمر رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». كل ذلك وغيره يفرض على البشرية منظمات وجامعات وحكومات وعلماء وأدباء ومفكرين أن يتنادوا إلى حوار يضيء شموعاً في هذا الجو ويعطي أملاً لنفوس وعقول يدمي أفئدتها هذا الواقع الأليم.

العقبات التي تواجه الحوار:

ومما لا شك فيه أن الحوار سيتنوع حسب المشكلات والقضايا التي تواجه الحضارات القائمة والأطروحات والأفكار التي سببها الإرث التاريخي والممارسات التي اعتادتها الحضارة القائمة، وقد عرض الأستاذان روجيه جارودي المفكر الفرنسي ومحمد مزالي في كتاب حوار الحضارات أن العقبة الكؤود أمام مشروع الأمل في الحوار هي: عقدة الاستعلاء والغرور التي تحكم الغرب وإرادة الهيمنة والاستغلال، وأنه ما لم يتحرر الغرب من هذه العقدة ويحترم خصوصية كل ثقافة وأن شرف المساهمة في إثراء الحضارة البشرية حق وواجب وأنه لابد من محو آثار الالتباس التاريخي الكبير الذي أفسد علاقات الشرق والغرب منذ قرون ومهد للحروب الصليبية وبرر الاستعمار والاعتداء على حرمات الشعوب وأنه لابد من محاولة اكتشاف الذات ووجود رؤية حضارية أصيلة تسمح بالتعدد وتؤمن

بمقومات الكيان الفردي والجماعي الروحية والفلسفية والأخلاقية.. وتتيح الابتكار والخلق والمعاناة للظفر بالحلول الجذرية للمشكلات المستعصية التي يطرحها علينا محيطنا الثقافي والاجتماعي.. وبالجملة لابد لأبناء الحضارة الغربية من التواضع الفكري والتخلي عن الاعتقاد بأنهم كل شيءٍ وأنهم مصدر المعرفة والقوة والسعادة وأن من سواهم من البشر مضطرون إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم واستهلاك بضاعتهم.. نسألهم باسم الموضوعية العلمية أن يعيدوا قراءة التاريخ وينفتحوا على الحضارات والثقافات الأخرى.

لقد استقبل النبي ﷺ وفد نصارى نجران في مسجده الشريف وحاورهم واستمع إليهم... وقد حدثت حوارات في العصر الحديث بدأت من البابا بولس السادس في ٦ آب/ أغسطس ١٩٦٤م، وقد أنشئت أمانة لشؤون غير المسلمين في الفاتيكان ودائرة مع الشعوب ذوات العقائد الحية الأيدلوجيات في مقر مجمع الكنائس العالمية في جنيف.. والوثائق الأولى للحوار تبين وتوضح أنه كان وسيلة مخفية للتبشير، وقد أوضح الدكتور هالكروتز وهو عالم لاهوتي نرويجي في دراسته المفصلة أن الحوار هو التطوير الثاني لحركة التبشير المسيحي(٢٥).

وقد أوضح أحد الباحثين(٢٦) الذين عاصروا الحوار الإسلامي المسيحي أنه كي يكون الحوار ناجحاً ومفيداً ومؤدياً لرسالة لابد من رعاية الشروط الآتية:

١- تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر وتاريخه وحضارته.. توضيحاً يعين على التلاقي على مواطن الاتفاق أو الاتفاق بطريقة مخلصة وموضوعية.

٢- البعد عن التلفيق الديني بين أحكام الدينين سواء كان ذلك التلفيق صريحاً أو رمزياً.

٣- العناية بحسن اختيار المتحاور بأن يكون متخصصاً في الموضوع ليكون قادراً على التعبير الصحيح.

٤- حسن اختيار مواضيع الحوار والبعد ما أمكن عن حساسيات الفكر اللاهوتي الكلامي القديم الذي حفلت به كتب الملل والنحل.

٥- اختيار الموضوعات الحية مثل وضع الأقليات سواء كانت مسيحية أو مسلمة في كلا المجتمعين الإسلامي والمسيحي وتبيين الحقوق والواجبات التي يعطيها كل دين للآخر(٢٧).

ومما يعين على إنجاح الحوار وفتح المجالات الكثيرة له:

* تصحيح الصورة الخاطئة التي ألصقت بالإسلام والمسلمين لدى العقلية الغربية، وهذا ما أكدته آنا مارشل في مقدمتها لكتاب «الإسلام كبديل» عندما قالت: المرء عدو ما يجهل، فإن لوحات فناني القرن التاسع عشر تسمي المسلمين «المحمديون» وهم إما برابرة غير متحضرين شاهري السيوف، أو مترفين غارقين في مجالس اللهو بين الحسان، أو فقيه ملتح متزمت، أو صورة إرهابي وقح لا وازع له... ومسيحيو القرون الوسطى ظنوا أن الإسلام زندقة وارتداد عن الدين المسيحي، وشاعت الأسطورة التي زعمت أن محمداً لم يكن سوى كاردينال كاثوليكي خرج عن البابا، وأنه شغل بإقامة الدولة وبزوجاته عن الوعظ والدعوة، وأنه ألف القرآن»(٢٨).

* إن تصحيح الصورة يقتضي تفهماً لتيارات التفكير في الغرب والتوجه إلى الشرائح التي تبحث عن علاج ما أصاب النفسية الغربية من دمار وتقديم الإسلام الصحيح لهم من خلال البلاغ الواضح المبين والتركيز على الجانب العقدي والعبادي والروحي والأخلاقي، كما ينبغي السعي لتصحيح الأخطاء المبثوثة في الكتب

المدرسية عن الإسلام والمسلمين.

* العمل على إنشاء مراكز بحث ودراسات متخصصة في جامعاتنا ومعاهدنا الإسلامية تعنى بقضية الحوار، وتعمل على الاتصال بالمراكز المماثلة لتقدم المعلومات الصحيحة.

* وعلى المسلمين وعلمائهم بوجه أخص أن يبذلوا جهداً في تبني قضية الحوار، فهم الأمة الشاهدة على الناس بالدعوة، وأن يتخذوا الوسائل المكافئة لذلك بفهم نفسية المخاطبين خاصة فهم الحضارة الغربية والحضارات الأخرى مثل الحضارة الصينية والمذاهب المختلفة فهذا ما فعله سلفنا الصالح، ويقدروا ظروف كل شريحة، وقد أصبح الإسلام موجوداً في كل بقاع المعمورة، وأفلست الأيدلوجيات والمذاهب الأخرى وأصبحت الحاجة ماسة للإسلام، فهل ينهض المسلمون بواجبهم ويتقدموا للعالم بالخير الذي عندهم، نسأل الله العون والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

الهوامش:

(١) لسان العرب ٢ : ١٤٠٣، المعجم الوسيط ١ : ٢٠٥ .

(٢) المعجم الوسيط ١ : ١٨١ .

(٣) راجع معركة الحضارة ص ٣٣-٣٧ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٦، ٧ . ط دار الجيل بيروت .

(٥) معركة الحضارة ٦١-٦٢ عن كتاب انحطاط الغرب (The Delie of The West) لمؤلفه الألماني الشهير Oswold Spengler (١٨٨٠-١٩٣٦) ولقد انتشر انتشاراً واسعاً فأحدث دوياً هائلاً في الأوساط الغربية .

(٦) وذلك في كتابه (Study of History) في اثني عشر مجلداً (١٩٣٤-١٩٦٣م) .

(٧) معركة الحضارة ٦٤ عن المصدر ذاته .

(٨) رواه مسلم .

(٩) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٤ عن المسند ٥ / ٢٦٢ .

(١٠) مؤشرات الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة .

(١١) المصدر السابق ٩، ١٠ .

(١٢) المصدر السابق بتصرف ١٢، ١٣ .

(١٣) المصدر السابق ١٤ .

(١٤) المصباح المنير، مادة : عبر .

(١٥) (ففسقوا فيها : أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة ـ ابن كثير ٣ / ٥٥) .

(١٦) (بطرت معيشتها : أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق ـ ابن كثير ٣ / ٦٣) .

(١٧) حوار الحضارات، تأليف روجيه جارودي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، ص ١٧ .

(١٨) انظر معركة الحضارة: ص ٥٥-٥٧ لمؤلفه قسطنطين زريق، الطبعة الأولى، بيروت، أبريل ١٩٦٤م.

(١٩) انظر حوار الحضارات الفصل الثاني ص ٣٧-٩٣، وفيه رصد أمين موثق لما قام به المستعمرون في آسيا وإفريقيا.

(٢٠) انظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي الحديث، للدكتور محمد البهي، ط التاسعة، ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢١) "الانفلات" - تأليف ز. بريجنسكي، ترجمة خالد محمد بهاء، ط مركز الدراسات الحضارية، القاهرة، ص ٢٩.

(٢٢) حوار الحضارات، روجيه جارودي، ترجمة: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ص ٣٨٦-٣٨٨.

(٢٣) انظر «الانفلات» ٧٤-٧٥ وما بعدها.

(٢٤) عن جريدة «الشعب» المصرية بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٩٤م العدد ٩٣٦ وقد أمضت البيان السيدة مارجريت تاتشر مع عدد من كبار الساسة العالميين.

(٢٥) بحث مخطوط عن الحوار الإسلامي المسيحي ص ٣، د. عز الدين إبراهيم.

(٢٦) هو الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٢٧) انظر المرجع السابق ص ٤-٥.

(٢٨) دكتورة آنا مارشل عميدة الاستشراق الألماني، مقدمة «الإسلام كبديل» ط أولى ١٩٩٣م، طبعة مجلة النور الكويتية، ص ٧ وما بعدها.

* * *





مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية